تنزيه اللّه عن صفات النقص

عند أهل السنة والجماعة

إعداد

د. عبد الله بن محمد بن رميان الرميان

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

تنزيه اللّه عن صفات النقص

عند أهل السنة والجماعة

ملخص البحث:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد:

فقد اشتمل هذا البحث على بيان نعتقد أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى، ومنهجهم في إثبات ونفي الصفات، وبيان اعتمادهم على الكتاب والسنة، والاقتداء بسلف الأمة، وبعدهم عن التأويل المذموم وصرف الألفاظ عن ظواهرها، وتوقفهم عند النصوص، وعدم تكلف ما وراء ذلك من السؤال عن كيفية الصفات التي استأثر الله تعالى بعلمها، وبيان وصفهم لله تعالى بصفات الكمال، وتنزيهه عن ضدها من صفات النقص، واثبات الصفات ونفي مشابهة المخلوقات، وقد وضحت موقف أهل السنة والجماعة من الصفات الفعلية الواردة والتي تحتمل المدح والذم، أو يوهم ظاهرها النقص، وعرضت أهم النتائج في خاتمة البحث، ثم ختمته بفهارس المراجع والمحتويات.

Research submitted by Dr. Abdullah bin Mohammed bin Rumayan Al-rumayan Associate Professor, Faculty of Dawa and Fundamentals of Religion

Umm Al Qura University

Abstract:

Praise be to God, prayer and peace upon the Messenger of Allah

After:

This research has included a statement of belief of the Sunnis and the community, the attributes of God is exalted, and their approach is to prove and deny attributes, and the statement of their dependence on the Qur'aan and Sunnah, and the redemption of the nation's predecessor, and far from reprehensible interpretation and exchange words on the manifestations, And they have ceased to texts, and not cost beyond that of the question of how the qualities that inspired the meaning awareness was accounted for, and the statement describing the attributes of God perfect, and keeping qualities against shortages, and prove the qualities and denied similar creatures, Have been explained to the position of the Sunnis and the group of qualities, which contained the actual carrying of praise and censure, or they appear as shortages, and offered the most important results in the conclusion of the search, and then during work with references and indexes content.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الموصوف بصفات الجلال، المنعوت بنعوت الكمال، المنزه عما يضاده من النقص، له الأسماء الحسنى والصفات العالى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد:

فإن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته من أشرف العلوم وأنفعها، لتعليقها برب العالمين، والعلم يشرف بمتعلقه ولا أعظم من الله سبحانه، وقد حصل فيها من الاختلاف ما الله به عليم "ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ(١١٨) إلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ"[١]، وذلك بسبب ما أحدثه أهل البدع من الخوض في ذات الله وأسمائه وصفاته بلا بينة ولا برهان، بل بتحكيم العقول القاصرة فيما هو من علم الغيب الذي لا تدركه بل يجب الوقوف فيه على ما جاء في الوحيين الكتاب والسنة.

ففرقة جحدت أسماء الله وصفاته كلها أو بعضها، بزعم تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، وفرقة سلكت الطريق الآخر فغلت وشبهت صفات الله تعالى بصفات المخلوقات بدعوى إثبات الصفات، وأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في هذا الباب فأثبتت ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم فتثبت لله تعالى صفات الكمال، وتنزهه عن صفات النقص، وتنفي عنه سبحانه مشابهة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه وتنزياً بلا تعطيل " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ"[٢].

وقد شنع بعض من انحراف في هذا الباب وضل على أهل السنة والجماعة، ووصفوهم بالمشبهة والمجسمة لوقوفهم على ما جاء في الكتاب والسنة، وشبهتهم في ذلك أن إثبات الصفات يقتضي مشابهة المخلوقات.

ولأهمية رد هذه الشبه وأمثالها، خصوصاً في هذا العصر، الذي تعددت فيه طرق التأثير وانتشرت، واختلط على بعض الناس الحق بالباطل، أحببت ان أجعل موضوع بحثي عن تنزيه الله تعالى عن صفات النقص عند أهل السنة والجماعة، وهو الذي تؤكده النصوص الشرعية، وتقره الفطر السوية، وتفيض بذكره كتب علماء أهل السنة والجماعة، وحاشاهم أن يصفوا الله تعالى بما لا يليق به.

وتأكيداً لذلك جعلت موقف أهل السنة والجماعة، من الصفات الفعلية التي تحتمل المدح والذم، أو التي يوهم ظاهرها النقص، أمثلة لهذا التنزيه، لأن انتقاد المخالفين وتشنيعهم على أهل السنة والجماعة، أكثر ما يكون في إثباتهم لصفات الله الفعلية، خصوصاً التي تحتمل المدح والذم، أو يوهم ظاهرها النقص.

وقد جعلت البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وضحت في المقدمة أهمية البحث والمنهج الذي سأسير عليه، والمبحث الأول عن منهج أهل السنة والجماعة في تنزيه الله تعالى عن صفات النقص وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة والمطلب الثاني: وصفه سبحانه بصفات الكمال وتنزيهه عن ضدها والمطلب الثالث: تفويض كيفية الصفات لله سبحانه وتعالى وأما المبحث الثاني فموقف أهل السنة والجماعة من الصفات الفعلية الواردة والتي تحتمل المدح والذم، وقسمته إلى مطلبين: المطلب الأول: صفات المكر والكيد والخداع، والمطلب الثاني صفتا السخرية والاستهزاء، وأما المبحث الثالث فموقف أهل السنة والجماعة من الصفات الفعلية الواردة والتي يوهم ظاهرها النقص وقسمته إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: صفة النسيان، والمطلب الثاني صفة التردد، والمطلب الثالث: صفة الملل وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج، ثم جعلت فهرساً للمراجع والمحتويات في آخر البحث.

المبحث الأول

منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات

إن منهج أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى هو المنهج الحق الذي ارتضاه الله لعباده، فهم يعتقدون أن صفات الله تعالى توقيفيّة، فلا يثبتون لله تعالى إلا ما أثبته لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، يثبتون ما ورد لله من صفات، وينفون عنه تعالى مشابهة المخلوقات، قال تعالى: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ"(٣)، لأنه لا أحد أعلم بالله من نفسه تعالى، قال تعالى: " أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ"(٤)، " ومَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً"(٥)، ولا مخلوق أعلم بخالقه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قال الله تعالى عنه: " ومَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وحْيٌ يُوحَى"(٦)، وينفون ما نفاه الله عن نفسه، في كتابه، أو ما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، مع اعتقاد ضده من صفات الكمال. وأما الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها، ولا نفيها، فيتوقفون فيها، ويستفصلون عن معناها، فإن أريد به باطل ينزّه الله عنه، ردّوه، وإن أريد به حق لا يمتنع عن الله، قبلوه، مع بيان ما يدل على المعنى الصواب من الألفاظ الشرعية، والدعوة إلى استعماله مكان هذا اللفظ المجمل الحادث(٧). ويعتقدون أن كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح لا بد أن توافق العقل الصريح، وصفات الله عز وجل عندهم تثبت على وجه التفصيل، وتنفى على وجه الإجمال، فالإثبات المفصل، مثل: إثبات السمع والبصر والكلام والقدرة وسائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، والنفي المجمل، مثل: نفي المثلية في قوله تعالى: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، وصفات الله تعالى عندهم كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، وهم يعتقدون أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أن ذاته حقيقية لا تشبه الذوات، فهي متصفة بصفات حقيقية لا تشبه الصفات، وكما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، كذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، ويعتقدون أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فمن أقرّ بصفات الله كالسمع، والبصر، والإرادة، يلزمه أن يقرّ بحب الله ورضاه وغضبه وكراهيته، ويعتقدون أن ما أضيف إلى الله مما هو غير بائنٍ عنه فهو صفة له غير مخلوقة، مثل: سمع الله، وبصر الله، ورضاه، وسخطه، وكل شيء أضيف إلى الله بائن عنه فهو مخلوق، مثل: بيت الله، وناقة الله. فليس كل ما أضيف إلى الله يستلزم أن يكون صفة له. ويثبتون صفات الله عز وجل، وكافة مسائل الاعتقاد، بما ثبت عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وإن كان حديثاً واحداً، وإن كان آحاداً. ويعتقدون أن معاني صفات الله عز وجل الثابتة بالكتاب أو السنة معلومة، وتفسر على الحقيقة لا المجاز، ويقطعون الطمع عن إدراك كيفيتها[٨]، لقوله تعالى: " ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ"[٩].

قال ابن عبد البر[١٠]: (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يُحدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مُشبَّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهم أئمة الجماعة والحمد لله)[١١].

وقال ابن تيمية[١٢]: (الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه... فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ"[١٣] ففي قوله: (" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) رد للتشبيه والتمثيل، وفي قوله: (وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) رد للإلحاد والتعطيل)[١٤].

المطلب الأول: إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة

لأن الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للشريعة الإسلامية، عند أهل السنة والجماعة، في الأصول والفروع، فهم يقتصرون في إثبات صفات الله تعالى على ما ورد في الكتاب والسنة، فلا يخضعون صفات الله تعالى للعقل، لأنها من علم الغيب الذي لا يدرك إلا بالنقل، ولأن صفات الله تعالى توقيفية، فيجب أن يوقف فيها على ما ثبت بالنصوص فقط وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

حيث يجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله.

قال الإمام أحمد بن حنبل[١٥]: (نعبد الله بصفاته، كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك)[١٦].

لقد ضل قوم حكموا عقولهم في أسماء الله وصفاته، فأنكروا ما أثبته الله لنفسه، وحرفوا به نصوص الكتاب والسنة، بزعم أن إثبات الصفات لله تعالى، يقتضي تشبيهه بالمخلوقات، تعالى الله عن ذلك.

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن اقتدى بهم، فهم يؤمنون بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات الجلال والكمال، حقيقة على الوجه الذي يليق به تعالى، وينفون عنه ما نفاه سبحانه عن نفسه، أو نفاه عن رسوله صلى الله عليه وسلم، من صفات النقص التي لا تليق به سبحانه، عمدتهم في هذا: الأدلة الواردة في الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

قال ابن قدامة[١٧]: (ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين، ولا سمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها[١٨] ومعناها إلى المتكلم بها)[١٩].

قال ابن أبي العز الحنفي[٢٠]: (وليس لنا أن نصف الله تَعَالَى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله نفياً ولا إثباتاً، وإنما نَحْنُ متبعون لا مبتدعون، فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني: باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فتثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كَانَ معنى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة مع قرائن المراد، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك)[٢١].

وقال ابن رجب[٢٢]: (أما طريقة أئمة أهل الحديث وسلف الأمة فهي إقرار النصوص، وإمرارها كما جاءت، ونفي الكيفية عنها والتمثيل... وأهل العلم والإيمان يعلمون أن ذلك كله متلقى مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما جاء به ذلك عن ربه فهو الحق الذي لا مزيد عليه، ولا عدول عنه، وأنه لا سبيل إلى تلقي الهدى إلا منه، وأنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة ما ظاهره كفر أو تشبيه أو مستحيل، بل كان ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه حق وصدق، يجب اعتقاد ثبوته مع نفي التمثيل عنه، فكما أن الله ليس كمثله شيء في ذاته، فكذلك في صفاته)[٢٣].

المطلب الثاني: وصفه سبحانه بصفات الكمال وتنزيهه عن ضدها

صفات الله تعالى كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، بدلالة النقل، والعقل، والفطرة.

أما النقل فمنه قوله تعالى: " لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ"(٢٤).

وأما العقل: فيعلم أن الموجود لا بد أن تكون له صفة. إما صفة كمال، وإما صفة نقص. والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز. فقال تعالى: " ومَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ"(٢٥) ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وعبادته، هل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟(٢٦).

وقد بين الله تعالى أن من دلائل ألوهيته، اتصافه بالكمال المطلق، الذي لا نقص فيه، وبين أن من دلائل بطلان ألوهيته ما سواه، اتصافها بصفات النقص والعجز، قال تعالى: " أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ"(٢٧)، وقال سبحانه: " واتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وهُمْ يُخْلَقُونَ ولا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًا ولا نَفْعًا ولا يَمْلِكُونَ مَوْتًا ولا حَيَاةً ولا نُشُورًا"(٢٨).

وأهل السنة والجماعة يصفون الله تعالى بصفات الكمال، وينزهونه سبحانه عن صفات النقص، فهم يصفونه تعالى بما يجب له من صفات الكمال، إثباتاً ونفياً، وكل نفي في القرآن أو السنة في صفات الله تعالى فإنه متضمن لثبوت كمال ضد المنفي لله سبحانه، فنفي الظلم يتضمن ثبوت كمال العدل، ونفي اللغوب يتضمن ثبات كمال القوة، ولو لم يتضمن هذا النفي معنى ثبوتياً لم يكن مدحاً، بل هو عدم، والعدم لا كمال فيه، والنفي يتناول: نفي النقائص والعيوب، ونفي المثيل والنظير، وهي طريقة أهل السنة والجماعة، وأما أهل البدع، فيكثر عندهم الإخبار عن الله تعالى بالسلوب دون أن يتضمن هذا الإخبار معنى ثبوتيّ يليق بالله تعالى وهو تعطيل وإن سموه تنزيهاً(٢٩).

فالصفات تنقسم إلى قسمين: صفات ثبوتية، وصفات منفية، أو ثبوتية وسلبية، فالثبوتية صفات الكمال التي لا نقص فيها، كالحياة والعلم والقدرة ونحوها، فتثبت لله تعالى مع نفي التشبيه والتمثيل، والسلبية: صفات النقص التي لا كمال فيها، كالموت والعجز والجهل ونحوها، وأما الصفات التي تكون كمالاً في حال، ونقصاً في حال، فلا تثبت لله تعالى إلا حال الكمال[٣٠].

المطلب الثالث: تفويض كيفية الصفات لله سبحانه وتعالى

مع إثبات أهل السنة والجماعة للصفات الواردة في الكتاب والسنة، على الحقيقة لا المجاز، للأخبار الصادقة بذلك، فإنهم لا يبحثون عن كيفيتها، ولا يخوضون بذلك لقوله تعالى: " ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً"[٣١].

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، " ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا"[٣٢]، ولأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته، إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها[٣٣].

وعدم العلم بالكيفية لا يؤثر بصدق إيماننا بهذه الصفات، لأن الله تعالى لم يكلفنا بالبحث عن الكيفية، ولا أراده منا، بل قصر الإيمان على ما أخبرنا به.

قال ابن عبد البر: (وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحاً في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه)[٣٤].

وقال أبو القاسم الأصبهاني[٣٥]: عند حديثه عن صفات الله عز وجل: (فإن قيل: فكيف يصح الإيمان بما لا يحيط علمنا بحقيقته؟ أو كيف يتعاطى وصف شيء لا درك في عقولنا؟

فالجواب أن إيماننا صحيح بحق ما كلفنا منها، وعلمنا مُحيط بالأمر الذي ألزمناه فيها، وإن لم نعرف لما تحتها حقيقة كافية، كما قد أمرنا أن نؤمن بملائكة الله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة ونعيمها، والنار وأليم عذابها؛ ومعلوم أنا لا نحيط علماً بكل شيء منها على التفصيل، وإنما كلفنا الإيمان بها جملة

واحدة، ألا ترى أنا لا نعرف أسماء عدة من الأنبياء، كثير من الملائكة، ولا يمكننا أن نحصي عددهم، ولا نحيط بصفاتهم، ولا نعلم خواص معانيهم، ثم لم يكن ذلك قادحاً في إيماننا بما أمرنا أن نؤمن به من أمرهم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الجنة: يقول الله تعالى "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٣٦][٣٧].

والخوض في الكيفية باب من أبواب التشبيه لأن الإنسان يصف الشيء على ما يشاهده، والله تعالى ليس كمثله شيء.

ويمثل جواب الإمام مالك[٣٨] عندما سئل عن كيفية الاستواء، منهج السلف في عدم التعرض لكيفية الصفات، حيث قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[٣٩].

المبحث الثاني

موقف أهل السنة والجماعة من الصفات الفعلية الواردة والتي تحتمل المدح والذم

من المعلوم بدلالة الشرع والعقل والفطرة، أن الله تعالى منزه عن صفات النقص التي لا كمال فيها، كالجهل، والعجز، والنوم، ونحوها، وقد نفى الله تعالى عن نفسه هذه الصفات في كتابه، وإن كانت بعض الصفات المنفية قد تكون كمالاً بالنسبة للمخلوق كالنوم، والولد، لكنها نقص بالنسبة لله تعالى، لأنها تدل على حاجة من اتصف بها."،

وأما الصفات التي تحتمل المدح والذم، بحيث تكون كمالاً في حال، ونقصاً في حال، فلا يوصف الله تعالى بها إلا في حال الكمال، وهو ما دلت عليه النصوص، في الكتاب والسنة، كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها من الصفات التي تكون كمالاً في مقابلة من يعاملون الله وأولياءه بها، ولذلك لم يذكر الله تعالى هذه الصفات إلا في مقابلة فعلهم "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"(٤٠)، " إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)"(٤١)، " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ"(٤٢).

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه قال تعالى: " وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"(٤٣). فقال: " فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ" ولم يقل: فخانهم؛ لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقاً(٤٤).

فأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى الصفات الواردة في الكتاب والسنة، مع نفي التشبيه والتمثيل، فيؤمنون بهذه الصفات، ويعلمون أن الله تعالى لا يوصف بها إلا على جهة المجازاة والمقابلة، لأنها ليست صفات مدح مطلقاً، بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فتمدح على جهة المقابلة والجزاء، وتذم في غيره، وما ذكر الله تعالى هذه الصفات له، إلا على الصفة الممدوحة.

قال ابن القيم(٤٥): (إن الله لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع، والاستهزاء مطلقاً، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً، بل تمدح في موضع، وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقاً، فلا يقال: إنه تعالى يمكر، ويخادع، ويستهزئ، ويكيد، لأنه تعالى لم يصف نفسه بهذا، إلا على

وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه، فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجاز)[٤٦].

وقال أيضاً: (لما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة، ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كانت مجازاً. والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم، فهو مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح، فهو حسن ممدوح، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم، حسن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً، كان المكر به والاستهزاء عدلاً حسناً)[٤٧].

المطلب الأول: صفات المكر والكيد والخداع

من صفات الله تعالى الفعلية الثابتة بكتاب الله، صفات المكر والكيد والخداع قال تعالى: " ومَكَرُوا ومَكَرَ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ الماكِرِينَ"[٤٨]، وقال سبحانه: " إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)"[٤٩]، وقال تعالى: " إنَّ المنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وهُوَ خَادِعُهُمْ"[٥٠].

قال ابن عثيمين[٥١]: (لا يوصف الله تعالى بالمكر إلا مقيداً، فلا يوصف الله تعالى به وصفاً مطلقاً؛ قال الله تعالى: " أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ"[٥٢]، ففي هذه الآية دليل على أن لله مكراً، والمكر هو التوصل إلى إيقاع الخصم من حيث لا يشعر، ... فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم؟ قيل: إن المكر في محله محمود، يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه، ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن تقول إن الله ماكر! وإنما تذكر هذه الصفة في مقام يكون مدحاً؛ مثل قوله تعالى: " ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ"[٥٣]، وقوله" ومَكَرُوا مَكْرًا ومَكَرْنَا مَكْرًا وهُمْ لا يَشْعُرُونَ"[٥٤]، ومثل قوله تعالى: " أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ"[٥٥]، ولا تنفي عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحاً؛ يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحاً؛ لا يوصف بها، وكذلك لا يسمى الله به؛ فلا يقال: إنَّ من أسماء الله الماكر)[٥٦].

وقد ذهب أهل التأويل إلى إنكار وصف الله تعالى بالمكر، أو الكيد، أو الخداع، وقالو: إن إضافة هذه الصفات لله عز وجل، وليس على حقيقته، وإنما هو من باب المشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته، أو من باب المجاز، وأطلق على جهة المقابلة اللفظية، أو بعلاقة السببية، أي أن

عقوبتهم مسببة عن مكرهم أو كيدهم وخداعهم، فالمكر أو الكيد أو الخداع سبب للعقوبة، فسمي السبب باسم المسبب.

والتكلف في ذكر ذلك، هروباً من إثبات الصفة، لأنها بزعمهم تدل على معنى مذموم، يستحيل وصف الله تعالى به[٥٧].

(فالمكر في اللغة مثلاً: صرف الغير عما يقصده بنوع من الحيلة... والمكر ضربان: محمود؛ وهو ما يتحرى به أمر جميل، وعلى ذلك قوله تعالى: " واللَّهُ خَيْرُ الماكِرِينَ"[٥٨] ومذموم؛ وهو ما يتحرى به فعل ذميم، نحو قوله تعالى: " ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ"[٥٩])[٦٠].

والحق أن هذه الصفات وأمثالها، تثبت لله تعالى، لورودها في نصوص الكتاب والسنة، ومن المعلوم أنها لا تطلق على الله تعالى، إلا حينما تكون كمالاً، فيوصف بها سبحانه في مقام المدح. لأن المكر والكيد والخداع، إذا فعل بمن لا يستحق العقوبة، كان ظلماً له، وأما إذا فعل بمن فعلها، فمكر به لمكره، وخدع لخداعه، عقوبة له بمثل فعله، كان عدلاً[٦١].

فالكيد والمخادعة، نوعان: قبيح وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحق عقوبة له، فالأول مذموم والثاني ممدوح، والرب إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحمكة

قال ابن القيم في الرد عليهم: (فعلم أنه لا يجوز ذم هذه الأفعال على الإطلاق، كما لا تمدح على الإطلاق، والمكر والكيد والخداع، لا يذم من جهة العلم، ولا من جهة القدرة، فإن العلم والقدرة من صفات الكمال؛ وإنما يذم ذلك من جهة سوء القصد وفساد الإدارة، وهو أن الماكر المخادع، يجور ويظلم، بفعل ما ليس له فعله، أو ترك ما يجب عليه فعله، ... والمقصود أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع، إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق، فكيف من الخالق سبحانه)[٦٢].

قال الشيخ ابن باز[٦٣]: في تعليقه على كلام ابن حجر في فتح الباري لما تاول صفة من صفات الله: (هذا خطأ لا يليق من الشارح، والصواب إثبات وصف الله بذلك حقيقة، على الوجه اللائق به

سبحانه، كسائر الصفات، وهو سبحانه يجازي العامل بمثل عمله، فمن مكر، مكر الله به، ومن خادع، خادعه، وهكذا من اوعى، أوعى الله عليه، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة)[٦٤].

المطلب الثاني: صفتا السخرية والاستهزاء

السخرية والاستهزاء من صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة، قال تعالى: " اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ"[٦٥]، وقال تعالى: " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ والَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[٦٦].

وجاء في الحديث عن آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً فيها، وفيه أنه قال يخاطب الله عز وجل: (أتسخر بي؟ أو تضحك بي وأنت الملك؟)[٦٧].

وقد أنكر عامة أهل التأويل هذه الصفة[٦٨]، بناء على منهجهم في نفي الصفات، بدعوى تنزيه الله تعالى عن صفات النقص، أو مشابهة المخلوقين، فظاهر يستهزئ الله مه أن الاستهزاء جهل، واستدلوا بقول الله تعالى عن موسى عليه السلام: " قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ"[٦٩].

فقالوا في معنى ما رود في هذه الآية والحديث: أنه ينتقم منهم، ويعاقبهم ويجازيهم على استهزائهم[٧٠]، وقيل هو استدراجهم بالنعم الدنيوية، فيظهر لهم الإحسان في الدنيا، خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة، فيظنوا أنه راض عنهم، وهو قد حتم عذابهم[٧١].

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى الصفات الواردة في الكتاب والسنة مع نفي التشبيه والتمثيل " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ"[٧٢]. ولذلك فهم يثبتون صفتي السخرية والاستهزاء لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه لورود النصوص فيهما ويعتقدون أن هذه الصفات لا يوصف الله تعالى بها إلا على جهة المجازاة والمقابلة لأن هذه الصفات ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فتمدح على جهة المقابلة والجزاء وتذم في عيره، وما ذكره الله تعالى هذه الصفات إلا على الصفة الممدوحة.

قال ابن جرير الطبري[٧٣]: بعد أن ذكر الاختلاف في صفة الاستهزاء: (والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهراً، وهو بذلك من قيله وفعله، مورثه مساءة باطناً، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر، وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: " اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ"؛ إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، فنافون عن الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه، وأوجبه

لها، وسواء قال قائل: لم يكن من الله جلَّ ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية، بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به، من الأمم، ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم، ويقال لقائل ذلك: إن الله جلَّ ثناؤه أخبرنا أنه مكَر بقوم قبلنا لم نَرَهُم، وأخبرنا عن آخرين أنه خَسَف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدقنا الله تعالى فيما ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرِّق بين شيء منه، فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به؟!)[٧٤].

وقال قوام السنة الأصبهاني: (وتولى الذب عنهم- أي المؤمنين- حين قالوا: " إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ" فقال: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" وقال: " فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ"، وأجاب عنهم فقال: " أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ" فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيب وتولى المجازاة لهم فقال: " اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" وقال: " سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ" لأن هاتين الصفتين إذا كانتا من الله لم تكن سفهاً، لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السفه، بل ما يكون منه يكون صواباً وحكمة)[٧٥].

قال ابن تيمية في الرد على الذين يقولون بالمجاز: (كذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن، كلفظ المكر والاستهزاء والسخرية، المضاف إلى الله تعالى ، وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله، على طريق المجاز، وليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة، كانت ظلماً له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلاً... قال تعالى: " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[٧٦]، ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الاسم.. وقال بعضهم: استهزاؤه: استدرجه لهم، وقيل: إيقاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم. وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة. وقيل: هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه، وهذا كله حق وهو استهزاء بهم)[٧٧].

ولذلك فلا يشتق لله تعالى منها اسم، فلا يقال: المستهزئ، أو الساخر، وهي صفات ذم إذا لم تكن على وجه المقابلة، والله تعالى منزه عنها، وأما ما كان على وجبه المقابلة، فهي صفات مدح، وقد بينا أن الله تعالى لم يذكرها إلا على هذه الصفة، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات لله تعالى، على وجه يليق به سبحانه وتعالى، كسائر صفاته.

المبحث الثالث

موقف أهل السنة والجماعة من الصفات الفعلية

الواردة والتي يوهم ظاهرها النقص

سبق بيان مذهب أهل السنة والجماعة في تنزيه الله تعالى عن صفات النقص والعيب وأنها ممتنعة في حق الله تعالى، فقد ذم الله تعالى اليهود الذين وصفوه بصفات النقص قثال سبحانه: " وقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ولُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ"(٧٨). وقال تعالى: " لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ونَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ونَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ"(٧٩).

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، فقال سبحانه: " سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ"(٨٠)، وقال سبحانه: " مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن ولَدٍ ومَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلَهٍ إذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ ولَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ"(٨١).

وما ورد من صفات في الكتاب أو السنة، قد يتبادر للبعض أنها تقضي النقص، فهي تخلو من حالات: إما أن يكون للصفة معنى آخر، لا يقتضي النقص فيحمل عليه، أو أن السياق الذي ورد فيه النص ليس صريحاً في إثبات الصفة، أو يمل على أحد معانيه أو لوازمه بما تحتمله اللغة، مع التأكيد أن من اثبت من علماء السنة بعض الصفات من هذا القبيل لنصوص وردت، وكانت هذه الصفات صفات نقص، فهم ينزهون الله عن النقص بالنسبة للبشر، ويعتقدون أن هذه الصفة تدل على الكمال بالنسبة الله تعالى.

المطلب الأول: صفة النسيان

من صفات الله الفعلية الثابتة في الكتاب والسنة. قال تعالى: " فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا"[٨٢]، وقال تعالى: " نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ"[٨٣].

وجاء في رؤية الله تعالى يوم القيامة، قوله صلى الله عليه وسلم قال: (أن الله تعالى يلقى العبد، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لاى فيقول: فإني أنساك كما نسيتني)[٨٤].

وقد أشكل على البعض وصف الله بهذه الصفة، مع ما علم بالعقل والشرع من تنزيهه تعالى عن صفات النقص والعيب، ومع ورود آيات أخرى في كتاب الله تنفي عن الله تعالى صفة النسيان وتنزهه عن الاتصاف بها.

وذلك لأنهم فهموا هذه الصفة بمعنى النسيان، الذي هو الذهول عن الشيء، وهي صفة نقص ولا شك ينزه الله تعالى عنها، وقد نفى الله تعالى عن نفسه المقدسة هذه الصفة فقال سبحانه: (ومَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا)[٨٥] وقال تعالى: " قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي ولا يَنسَى"[٨٦].

ولا يمكن أن ينفي الله تعالى الصفة في موطن، ويثبتها في موطن آخر، خصوصاً إذا علم أنها صفة نقص وعيب، ولذلك يعلم يقيناً بأن المراد بها، أحد معاني الصفة التي لا تدل على النقص، وهو: الترك. فإذا وصف الله تعالى بالنسيان فلا يستقيم إلا هذا المعنى.

فالنسيان في هذه الآيات، المقصود به: الترك، وهو أحد نعاني النسيان[٨٧]، وسياق الآيات التي وردت بها هذه الصفة تدل على ذلك، فيكون معنى الآية أن الله عز وجل يتركهم في العذاب، وهذا من تمام عدله وكماله عز وجل، مجازاة لهم على تركهم توحيده وعبادته.

وليس هذا من موافقة نفاة الصفات أهل التأويل، الذين يصرفون الصفات عن ظواهرها خشية التشبيه، بل هو معناها الذي تدل عليه في السياق الذي وردت فيه.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: " فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا"[٨٨]، (قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا. وقال مجاهد: نتركهم في النار. وقال السدي: نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعلموا للقاء يومهم هذا)[٨٩].

وقد جعل الله تعالى هذا النسيان، عقوبة لهم على عملهم، ومجازاة لهم على إهمالهم وتركهم أمر الله، والنسيان الذي هو ذهول، لا يكون عقوبة ومجازاة، لأنه يقع عن غير قصد.

قال الشيخ ابن عثيمين" (للنسيان معنيان: أحدهما: الذهول عن شيء معلوم، ولا يجوز وصف الله بالنسيان بهذا المعنى على كل حال. والمعنى الثاني للنسيان: الترك عن علم وعمد، وتركه سبحانه للشيء صفة من ثفاته الفعلية، الواقعة بمشيئته، التابعة لحكمته؛ قال الله تعالى: " وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ"(٩٠)، والنصوص في ثبوت الترك وغيره من أفعاله المتعلقة بمشيئته كثيرة معلومة، وهي دالة على كمال قدرته وسلطانه. وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يماثل قيامها بالمخلوقين، وإن شاركه في أصل المنى؛ كما هو معلوم عند أهل السنة)(٩١).

المطلب الثاني: صفة التردد

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي يقول الله تعالى: "ما تردَّدت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت، وأنا أكره مَسَاءَته)(٩٢).

أثبت بعض العلماء صفة التردد لله تعالى، لما جاء في هذا الحديث، وقالوا: نجري هذه الصفة على ظاهرها، كسائر صفات الله تعالى، وننزهه تعالى عن صفات النقص، ومشابهة المخلوقين، فتثبت له التردد، لوروده في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، مع القطع يكون تردده يختلف عن تردد المخلوق، الذي هو عن عدم قدرة أو جهل بعواقب الأمور.

قال الشيخ ابن باز: (التردد وصف يليق بالله تعالى، لا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه، وليس كترددنا، والتردد المنسوب لله تعالى، لا يشابه تردد المخلوقين، بل هو تردد يليق بالله سبحانه، كسائر صفاته جل وعلا)(٩٣).

وقال ابن تيمية: (قالت طائفة: إن الله لا يوصف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، فقال بعضهم: معناه أن الله يعامل معاملة المتردد.

والتحقيق: أن كلام رسوله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بياناً منه، ويجب أن يصان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الظنون الباطلة

والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا، وإن كان متردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور؛ لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنْزلة ما يوصف به الواحد منا؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ثم هذا باطل؛ فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهل منه بالشئ الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث.

فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مه ذلك كارةٌ لمساءة عبده، وهي المساءه التي تحصل له بالموت، فصار الموت مراداً للحق من وجه، مكروهاً له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وهو أن يكون الشيء الواحد مراداً من وجه مكروها من وجه، وإن كان لا بد من ترجح أحد الجانبين، كما ترجح إدارة الموت، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده، وليس أرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته)(٩٤).

ومن أثبت الصفة قال: إن تردده سبحانه وتعالى بحق، وأن حقيقة التردد ليس معناها: أنها تنشأ عن جهل، أو عدم قوة، أو قدرة، بل حقيقة التردد أنه: تردد الإرادة في أي الأمرين أصلح للعبد، أو في أي الأمرين أوفق للحكمة، أو نحو ذلك، أو تردد الإرادة في المصلحة المقتضية لذلك.

وتردد الإرادة، ليس ناشئاً عن الجهل، وعدم العلم، أو نحو ذلك، فهذا منزه عنه الرب جل وعلا، وإنما هو ناشئ عن محبة الله لاختيار الأصلح لعبده، لهذا وقع التردد بين الصالح والأصلح، يعني: في الاختيار، وإذا كان كذلك فإن التردد على هذا يكون كمالاً، لأنه لم ينشأ عن جهل، ولا عن عدم قدرة أو قوة، وإنما هو راجع إلى الحكمة، ومقتضى قدر الله، وحكمة الله سبحانه. وهو قول ابن تيمية، وعزاه إلى سلف الأمة.

وبعض أهل السنة لا يضيف التردد إلى الله جل وعلا صفة، لقولهم: التردد لا يكون إلا عن نقص علم أو عدم قدرة والله تعالى منزه عن ذلك الشيء، فمنعوا وصف الله جل وعلا بالتردد.

قال الشوكاني(٩٥): (التردد كناية عن محبة الله لعبده المؤمن أن يأتي بسبب من الأسباب الموجبة لخلوصه من المرض الذي وقع فيه، حتى يطول به عمره، من دعاء، أو صلة رحم، أو صدقة، فإن فعل مد

الله له في عمره بما يشاء، وتقتضيه حكمته، وإن لم يفعل حتى جاء أجله، وحضره الموت، مات بأجله الذي قضى عليه إذا لم يتسبب بسبب يترتب عليه الفسحة له في عمره، مع أنه وإن فعل ما يوجب التأخير، والخلوص من الأجل الأول، فهو لا بد له من الموت بعد انقضاء تلك المدة التي وهبها الله سبحانه له. فكان هذا التردد معناه: انتظار ما يأتي به العبد مما يقتضي، تأخير الأجل، أو لا يأتي فيموت بالأجل الأول، وهذا معنى صحيح لا يرد عليه إشكال، ولا يمتنع في حقه سبحانه بحال، مع أنه سبحانه يعلم أن العبد سيفعل ذلك السبب أو لا يفعله، ولكنه لا يقع التنجيز لذلك المسبب إلا بحصول السبب الذي ربطه جل وعلا به.)[٩٦].

وسواء أثبتت الصفة أو نفيت فالمتفق عليه تنزيه الله تعالى عن صفة التردد التي تدل على نقص العلم أو عدم القدرة.

قال الشيخ ابن عثيمين: (إثبات التردد لله عز وجل، على وجه الإطلاق لا يجوز، لأن الله تعالى ذكر التردد في هذه المسألة: (ما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن)، وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل رحمة هذا العبد المؤمن، ولهذا قال في نفس الحديث: (يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه). وهذا لا يعني أن الله عز وجل موصوف بالتردد، في قدرته أو في علمه، بخلاف الآدمي فهو إذا أراد أن يفعل الشيء يتردد، إما لشكه في نتائجه ومصلحته، وإما لشكه في قدرته عليه: هل يقدر أو لا يقدر. أما الرب عز وجل فلا)[٩٧].

المطلب الثالث: صفة الملل

جاء وصف الله تعالى بهذا في الحديث الصحيح الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: (عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل حتى تملوا)[٩٨].

وقد اختلف العلماء في دلالة لفظ هذا الحديث على صفة الملل فمن العلماء من أثبت فيه صفة الملل لله سبحانه على وجه يليق به سبحانه وليس كملل المخلوقين الذي هو: فتور عن تعب وألم عن مشقة، فإثباتهم الملل لله تعالى كما جاء به النص لا يستلزم تشبيهه بملل المخلوق، الذي هو صفة تقتضيه طبيعته والله سبحانه منزه عن النقص إنما إذا أطلق ذلك على الله تعالى فهو صفة كمال لا نقص فيها.

وقالوا: نثبتها لورود النص فيها ونجريها على ظاهرها كغيرها من الصفات، ونعتقد أنها صفة كمال بالنسبة لله تعالى تليق به سبحانه.

منهم: القاضي أبو يعلى[٩٩] حيث قال: (أعلم أَنَّهُ غير ممتنع إطلاق وصفه تَعَالَى بالملل لا عَلَى مَعْنَى السآمة والاستثقال ونفور النفس عَنهُ، كَمَا جاز وصفه بالغضب لا عَلَى وجه النفور، وكذلك الكراهة والسخط والعداوة..)[١٠٠].

والشيخ: محمد بن إبراهيم[١٠١] حيث قال: (قال الله لا يمل حتى تملوا) من نصوص الصفات وهذا على وجه يليق بالباري لا نقص فيه كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر)[١٠٢].

وقال ابن عبد البر: (وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأساً برواية الحديث إن ضحك؛ وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملالة والتعجب منه ليس على جهة ما يكن من عباده)[١٠٣].

وقد توقف الشيخ ابن عثيمين في إثباتها ونفيها فقال عن الحديث: (من العلماء من قال: إن هذا دليل على إثبات الملل لله، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق، إذ أن ملل المخلوق نقص، لأنه يدل على سآمة وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله فهو كمال، وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالاً، ومن العلماء من يقول: إن قوله: (لا يمل حتى تملوا) يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل، فإن الله يجازيك عليه، فاعمل ما بدا لك فإن الله لا يمل من ثوابك، حتى تمل من العمل، وعلى هذا فيكون المراد بالملل لازم الملل. ومنهم من قال: إن هذا لا يدل على صفة الملل لله إطلاقاً، لأن قول القائل: لا أقوم حتى تقوم، ولا يستلزم قيام الثاني، وهذا أيضاً: (لا يمل حتى تملوا) لا يستلزم ثبوت الملل لله عز وجل. وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى منزه عن كل صفة نقص، من الملل وغيره، وإذا ثبت أن هذا الحديث دل على الملل فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق)[١٠٤].

وعامة العلماء لم يجعلوا الملل من صفات الله تعالى، لأن الملل استثقال الشيء وضجرها منه، وهو صفة نقص لا كمال فيها بوجه، والله سبحانه منزه عن الاتصاف بصفات النقص، والملل يناقض صفات الله تعالى التي تدل على كمال القوة والقدرة ومنهم من أنكر أن يدل اللفظ على الملل أصلاً، بل هو نفي للملل، فمعنى الحديث أن الله تعالى لا يمل إذا مللتم، أي: أن الله تعالى لا يمل أبداً، وقالوا: أن اللغة تؤكد هذا المعنى.

قال ابن الأثير(١٠٥): (إن الله لا يمل أبداً، مللتم أو لم تملوا، فجرى مجرى قولهم: حتى يشيب الغراب، ويبيض الفأر، وقيل: معناه أن الله لا يطرحكم، حتى تتركوا العمل، وتزهدوا في الرغبة إليه، فيمى الفعلين مللاً، وكلاهما ليسا بملل، كعادة العرب في وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه)(١٠٦).

وقال ابن قتيبة(١٠٧): (قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا، فجعلتم الله تعالى يمل إذا ملوا، والله تعالى لا يمل على كل حال، ولا يكل. قال أبو محمد: ونحن نقول إن التأويل لو كان على ما ذهبوا إليه، كان عظيماً من الخطأ فاحشاً، ولكنه أراد: فإن الله سبحانه لا يمل إذا مللتم، ومثال هذا قولك في الكلام: هذا الفرس لا يفتر، حتى تفتر الخيل، لا تريد بذلك أنه يفتر إذا فترت، ولو كان هذا هو المراد، ما كان له فضل عليها، لأنه يفتر معها، فأية فضيلة له، وإنما تريد أنه لا يفتر إذا فترت، وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه والمكثار الغزير: فلان لا ينقطع، حتى تنقطع خصومه، تريد أنه لا ينقطع إذا انقطعوا، لو أردت أنه يتقطع إذا انقطعوا، لم يكن له في هذا القول فضل على غيره، ولا وجبت له به مدحة، وقد جاء مثل هذا بعينه في الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شراً، ويقال إنه لخلف الأحمر:

صليت مني هذيل بخرق لا يمل الشر حتى يملوا

لم يؤد أنه يمل الشر إذا ملوه، ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح له، لأنه بمنزلتهم، وإنما أنهم يملون الشر وهو لا يمله)(١٠٨).

قال الخطابي(١٠٩): (الملال لا يجوز على الله سبحانه بحال، ولا يدخل في صفاته بوجه، وإنما معناه: أنه لا يترك الثواب والجزاء على العمل ما لم تتركوه، وذلك أن من مل شيئاً تركه، فكنى عن الترك بالملال الذي هو سبب الترك وقد قيل: معناه إنه لا يمل إذا مللتم)(١١٠).

وقال الطحاوي(١١١): (الملل منتف عن الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يمل الله حتى تملوا) أي: إنكم قد تملون فتنقطعون والله بعد مللكم وانقطاعكم على الحال التي كان عليها قبل ذلك من انتفاء الملل والانقطاع عنه)(١١٢).

وقال المازري(١١٣): (قيل: (حتى) هاهنا بمعنى الواو فيكون قد نفى عنه جلت قدرته الملل، فيكون التقدير لا يمل وتملون)(١١٤).

وذهب كثير من العلماء إلى أن المقصود لازم الملل وهو: الترك، منهم ابن عبد البر والبغوي[١١٥]، وابن رجب[١١٦]، والنووي[١١٧]، وابن حجر[١١٨]، وعامة شراح الحديث[١١٩].

وقال ابن عبد البر: (قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يمل حتى تملوا) معناه عند أهل العلم: أن الله لا يمل من الثواب والعطاء على العمل، حتى تملوا أنتم، ولا يسأم من إفضاله عليكم، إلا بسآمتكم عن العمل له، وأنتم متى تكلفتم من العبادة ما لا تطيقون، لحقكم الملل وأدرككم الضعف والسآمة، وانقطع عملكم، فانقطع عنكم الثواب، لانقطاع العمل، وأما لفظه في قوله: (إن الله لا يمل حتى تملوا) أي: من مل فقطع عمله، انقطع عنه الجزاء، ومعلوم أن الله عز وجل لا يمل، سواء مل الناس أو لم يملوا، ولا يدخله ملال في شيء من الأشياء، جل عن ذلك وتعالى علوا كبيراً، وإنما جاء لفظ هذا الحديث على المعروف من لغة العرب، فإنهم إذا وضعوا لفظاً بإزاء لفظ، جواباً له، أو جزاء، ذكروه بمثل لفظه، وإن كان مخالفاً له في معناه، ألا ترى إلى قوله عز وجل: "وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا"[١٢٠]، وقوله: " فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ"[١٢١]، والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداءً، لأنه حق واجب، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يمل الله حتى تملوا) أي: إن من مل من عمل يعمله، قطع عنه جزاؤه، فأخرج لفظ قطع الجزاء بلفظ الملال، إذ كان بحذائه وجواباً له)[١٢٢].

وقال البغوي: (قوله: (لا يمل الله حتى تملوا) معناه: لا يمل الله وإن مللتم، لأن الملال عليه لا يجوز. وقيل: معناه: فإن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، وقيل: معناه لا يترك الله الثواب والجزاء، ما لم تملوا من العمل، ومعنى الملال: الترك، لأن من مل شيئاً تركه وأعرض عنه، فكنى بالملال عن الترك لأنه سبب الترك)[١٢٣].

قال ابن رجب: (الملل والسآمة للعمل يوجب قطعه وتركه، فإذا سأم العبد من العمل ومله قطعه وتركه، فقطع الله عنه ثواب ذلك العمل، فإن العبد إنما يجازي بعمله، فمن ترك عمله انقطع عنه ثوابه وأجره، إذا كان قطعه لغير عذر.

فإن الله يحب مواصلة العمل ومداومته، وسمي هذا المنع من الله ملالاً وسآمة مقابلة للعبد على ملله وسآمته، كما قال تعالى: " نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ"(١٢٤)، إهمالهم وتركهم نسيانا مقابلة لنسيانهم له. هذا أظهر ما قيل في هذا)(١٢٥).

وقال ابن حجر: (والملال استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى باتفاق. قال الإسماعيلي وجماعة من المحققين: إنما أطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كما قال تعالى: " وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا"(١٢٦)، وأنظاره، قال القرطبي: وجه مجازه: أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالا عبر عن ذلك بالملال، من باب تسمية الشيء باسم سببه. وقال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله، حتى تملوا سؤاله، فتزهدوا في الرغبة إليه. وقال غيره: معناه لا يتناهى حقه عليكم في الطاعة حتى يتناهى جهدكم)(١٢٧).

قال الشيخ صالح آل الشيخ(١٢٨): (هناك أفعال تضاف إلى الله جل وعلا، ولا نشتّق منها صفة نصف بها الرب جل وعلا، فباب الأفعال أضيق من باب الصفات، فليس كل فعل أطلق أو أضيف إلى الله جل وعلا من فعله سبحانه نشتق منه صفة... فلا نقول من صفات الله الملل، وأشباه ذلك ((إنّ الله لاَ يَمَلّ حَتّى تَمَلّوا)) أُطلق الفعل لكن لا نشتق منه الصفة)(١٢٩).

قال الشيخ عبد الرحمن البراك(١٣٠): (العلماء مختلفون في دلالة الحديث على إثبات الملل صفة لله تعالى، فقال بعضهم: إنه لا يدل على إثبات الملل، وأنه من جنس قول القائل: فلان لا تنقطع حجته حتى ينقطع خصمه. لا يدل علي إثبات الانقطاع.

ومنهم من قال: إنه يدل على إثبات الملل، وتأوله بقطع الثواب، فمعناه أن الله لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العمل ففسروا اللفظ بلازمه. ويمكن أن يقال: إنه يدل على إثبات الملل صفة لله تعالى في مقابل ملل العبد من العمل بسبب تكلفه، وإشقاقه على نفسه، والملل من الشيء يتضمن كراهته، ومعلوم أن الله تعالى يحب من عباده العمل بطاعته ما لم يشقوا على أنفسهم، ويكلفوها ما لا تطيق فإن الله يكره منهم العمل في هذه الحال، والله أعلم بالصواب)(١٣١).

والقول الراجح والله أعلم، أن الحديث لا يدل على إثبات صفة الملل لله تعالى لأسباب منها:

أولاً: أن الملل صفة نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه ومذهب أهل السنة والجماعة تنزيه الله تعالى عن صفات النقص التي لا كمال فيها. ثم إن الله تعالى قد نفى الله تعالى عن نفسه صفاتٍ الملل سببها، كالعجز، والتعب وأثبت لنفسه صفات تدل على نفي صفة الملل كالقوة، والقدرة، فإن من كان متصفاً بهذه الثفات فلا يمل أبداً.

ولا تقاس هذه الصفة على ما سبق من صفات المكر والكيد ونحوها، لأنها صفات مدح إذا كانت على جهة المقابلة والجزاء، وما ذكر الله تعالى له هذه الصفات إلا على الصفة الممدوحة. ثم إن تلك الصفات أثبتت الآيات نسبة ذلك الفعل إلى الله تعالى صراحة، " إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)"[١٣٢]، (ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ)[١٣٣]، بخلاف الملل فإنه لم يأت التصريح بنسبته إلى الله تعالى.

ثانياً: أن نفي الصفة يستقيم مع مذهب أهل السنة والجماعة في نفي صفات النقص عن الله، وليس هذا من منهج أهل التأويل الذين يأولون الصفات ويصرفونها عن ظاهرها بدعوى التنزيه، بل هو المفهوم من الحديث وإجراء له على ظاهره، واللغة تحتمله، وعامة العلماء المنتسبين إلى منهج أهل السنة والجماعة لم يجعلوا الحديث من أحاديث الصفات.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد تم استكمال هذا البحث بتوفيق الله وخرجت منه بعدة نتائج منها:

- تعظيم أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة والالتزام بنصوصهما في الأصول والفروع
- إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه تعالى عن صفات النقص والعيب وعدم تحكيم العقل في صفات الله سبحانه، لأن ذلك من الغيب الذي يوقف فيه على النقل.
- عدم الخوض في كيفية صفات الله سبحانه لأنه لا علم لنا بكيفية ذاته، فكذلك كيفية صفاته ولأنه لم يرد بيان كيفية الصفة فيوقف فيه على النص.
- إثبات الصفات الواردة لله سبحانه وتعالى بالنصوص مما تحتمل المدح والذم على الوجه الذي لا نقص فيه.
- تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين والبعد عن التمثيل والتشبيه لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته.
- أن بعض النصوص الواردة حصل في إثبات الصفة منها خلاف بين أهل السنة والجماعة كالملل الوارد في الحديث الصحيح.
- استقامة منهج أهل السنة والجماعة ووسطيته في كافة أبواب العقيدة ومنها باب صفات الله سبحانه وتعالى لالتزامهم بنصوص الكتاب والسنة.

الهوامش

١- سورة هود الآيتين (١١٨، ١١٩).

٢- سوؤة الشورى الآية (١١).

٣- سورة الشورى الآية (١١).

٤- سورة البقرة الآية (١٤٠).

٥- سورة النساء الآية (١٢٢).

٦- سورة النجم الآيتين (٣،٤).

٧- انظر: الفتاوى لابن تيمية (٥/٢٩٩) (٧/٣٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/٢٦٠).

٨- انظر: مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم (١/١٤١، ١٤٢)، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشنقيطي ص(٢٦)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه لابن عثيمين ص (٢٩-٣٦)، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف ص (١٩-٢٥).

٩- سورة البقرة الآية (٢٥٥).

١٠- يوسف بن عبد الله ابن عبد البر الأندلسي القرطبي أبو عمر، محدث حافظ مؤرخ، من فقهاء المالكية، تولى القضاء، وصنف المصنفات الكثيرة، منها: (الاستذكار)، و(التمهيد) توفي سنة ٤٦٣ هـ.

١١- التمهيد لابن عبد البر، (٧/١٤٥).

١٢- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، له العديد من المصنفات منها: (الاستقامة)، (اقتضاء الصراط)، (بيان تلبيس الجهمية)، (درء تعارض العقل والنقل)، توفى ٧٢٨هـ.

١٣- سورة الشورى الآية (١١).

١٤- الرسالة التدمرية، لابن تيمية، ص (٦،٧).

١٥- أحمد بن محمد بن حنبل السيباني، إمام أهل السنة، المنسوب إليه المذهب الحنبلي، ثقة، حافظ، فقيه، ولد سنة ١٦٤ هـ، صنف المسند في الحديث. امتحن فصبر على البلاء حتى توفي سنة ٢٤١ هـ.

١٦- الإبانة لابن بطة (٣/٣٢٦).

١٧- عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، فقيه، مجتهد، من أعيان الحنابلة، من مصنفاته (المغني) في الفقه الجنبلي، توفى بدمشق سنة (٦٢٠هـ).

١٨- أي: علم كيفيتها.

١٩- ذم التأويل لا بن قدامة. وإن كانت عبارته رحمه الله موهمة فقد فهم عامة العلماء كلام ابن قدامة رحمه الله على تفويض الكيفية لا تفويض المعنى بدليل تصريحه رحمه الله في مواضع أخرى بمذهبه في إثبات الصفات.

٢٠- هو علي بن محمد الأذرعي الدمشقي الحنفي المعروف بابن أي العز تولى قضاء الحنفية بدمشق، وكان إماماً داعية إلى إتباع المنهج السلفي ناله على ذلك أذى فصبر واحتسب، توفي سنة (٧٩٢هـ).

٢١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/٢٦٠، ٢٦١).

٢٢- عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، فقيه، مجتهد من أعيان الحنابلة، من مصنفاته (المغني) في الفقه الحنبلي، توفي بدمشق سنة (٦٢٠هـ).

٢٣- فتح الباري لابن رجب (٧/٢٣٣، ٢٣٤).

٢٤- النحل الآية (٦٠).

٢٥- سورة الأحقاف الآية (٥).

٢٦- القواعد المثلى لابن عثيمين ص (١٨، ١٩).

٢٧- سورة النحل الآية (١٧).

٢٨- سورة الفرقان الآية (٣).

٢٩- انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/٩٧).

٣٠- انظر: التسعينسة لابن تيمية، (١/١٥٧)، والفتاوى (٣/٣٥)، وشرح الواسطية لابن عثيمين، (١/١٤٢).

٣١- سورة الإسراء الآية (٣٦).

٣٢- سورة طه الآية (١١٠).

٣٣- القواعد المثلى لابن عثيمين، ص (٢٧).

٣٤- التمهيج لابن عبد البر، (١٣٧/٧).

٣٥- إسماعيل بن محمد الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، من مؤلفاته: (الإيضاح في التفسير)، (الترغيب والترهيب)، توفي سنة ٥٣٥هـ.

٣٦- رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، حديث (٣٢٤٤)، ومسلم في كتاب الجنة، باب صفة ونعيم أهل الجنة، حديث (٢٨٢٤).

٣٧- الحجة في بيان المحجبة، للأصبهاني، (٣١٣/١، ٣١٤).

٣٨- مالك بن أنس بن مالك، تابعي جليل، أحد أئمة المذاهب المتبوعة، إمام دار الهجرة، سنة جمع الموطأ وهو أول كتب الأحاديث المصنفة والمبوبة، وأول كتاب ألفّ في الحديث والفقه معاً، توفي سنة ١٧٩هـ.

٣٩- التمهيد، لابن عبد البر (١٣٨/٧)، الرد على الجهمية للدارمي، ص (٥٥، ٥٦).

٤٠- سورة الأنفال الآية (٣٠).

٤١- سورة الطارق الآيتين (١٥، ١٦).

٤٢- سورة النساء الآية (١٤٢).

٤٣- سورة الأنفال الآية (٧١).

٤٤- انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين، ص (٢٠).

٤٥- محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية، من مؤلفاته: (الصواعق المرسلة)، (زاد المعاد)، (مفاتح دار السعادة)، توفي عام ٧٥١هـ.

٤٦- مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم (٢/٣٠-٣٢) بتصرف.

٤٧- المرجع السابق (٢٩٢/١).

٤٨- سورة الأنفال، الآية (٣٠).

٤٩- سورة الطارق الآيتين (١٥، ١٦).

٥٠- سورة النساء، الآية (١٤٢).

٥١- محمد بن صالح العثيمين، عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية فرع القصيم، وإمام وخطيب الجامع الكبير بعنيزة، من أشهر العلماء في القرن الخامس عشر الهجري، توفي سنة ١٤٢١هـ.

٥٢- سورة الأعراف، الآية (٩٩).

٥٣- سورة الأنفال، الآية (٣٠).

٥٤- سورة النمل، الآية (٥٠)

٥٥- سورة الأعراف، الآية (٩٩).

٥٦- المجموع الثمين لابن عثيمين (٦٥/٢).

٥٧- انظر: المعلم للمازي، (٢٢٨/١) المفهم للقرطبي (٢١٤/٢).

٥٨- سورة الأنفال، الآية (٣٠).

٥٩- سورة فاطر، الآية (٤٣).

٦٠- المفردات، للراغب الأصفهاني ص (٤٧٣).

٦١- انظر: التدمرية، لابن تيمية ص (٢٦).

٦٢- مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم (٣٢/٢-٣٤).

٦٣- هو عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مفتي السعودية في زمنه، تولى القضاء ورئاسة الجامعة الإسلامية، ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، توفي سنة ١٤٢٠هـ.

٦٤- فتح الباري لابن حجر، تعليق ابن باز (٣٠٠/٣).

٦٥- سورة البقرة، الآية ١٥.

٦٦- سورة التوبة، الآية (٧٩).

٦٧- رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً، حديث (١٨٦).

٦٨- وممن تأولها ممن هو على مذهب أهل السنة والجماعة، ابن عبد البر رحمه الله، حيث قال فيها، وفي صفتي المكر والخداع، بعد ذكر الآيات التي وردت فيها، هذه الصفات: ليس من الله عز وجل هزوء ولا مكر ولا كيد، إنما هو جزاء لمكرهم واستهزائهم، وجزاء لكيدهم، فذكر الجزاء بمثل لفظ الابتداء لما وضع بحذائه.

٦٩- سورة البقرة- الآية (٦٧).

٧٠- انظر: تفسير القرطبي (١/١٤٥) المحرر الوجيز لابن عطية (١/١٢٨).

٧١- انظر: المعلم للمازي (١/٢٢٨)، المفهم لأبي القرطبي (١/٤٢٥)، تفسير القرطبي (١/١٤٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (١/١٢٨)، تفسير النفسي، (١/٢٦).

٧٢- سورة الشوري الآية (١١).

٧٣- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام الطبري، مؤرخ ومفسر وفقيه مسلم صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ. يعتبر أكبر علماء الإسلام تأليفاً وتصنيفاً، توفي سنة ٣١٠هـ.

٧٤- تفسير الطبري، (١/١٦٧).

٧٥- الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني (١/١٨١).

٧٦- سورة التوبة، الآية (٧٩).

٧٧- مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٧/١١١، ١١٢).

٧٨- سورة المائدة، الآية (٦٤).

٧٩- سورة آل عمران، الآية (١٨١).

٨٠- سورة الصافات، الآية (١٨٠).

٨١- سورة المؤمنون الآية (٩١).

٨٢- سورة الأعراف الآية (٥١).

٨٣- سورة التوبة الآية (٦٧).

٨٤- رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب ما بين النفختين، حديث (٢٩٦٨).

٨٥- سورة مريم الآية (٦٤).

٨٦- سورة طه الآية (٥٢).

٨٧- انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٢٢)، والمعجم الوسيط (٢/٩٢٠).

٨٨- سورة الأعراف الآية (٥١).

٨٩- تفسير ابن كثير (٢/٢٩٥) وانظر: تفسير الطبري (٥/٥١٠).

٩٠- سورة البقرة، الآية (١٧).

٩١- مجموعة فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٥٤-٥٦).

٩٢- رواه البخاري في كتاب الرقائق، باب التواضع، حديث (٦٥٠٢).

٩٣- مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة (٤١٧/٩).

٩٤- الفتاوى لابن تيمية (١٢٩/١٨) بتصرف.

٩٥- محمد بن علي الشوكاني، أحد العلماء المكثرين من التصنيف ولد بقرية شوكان باليمن سنة ١١٧٣ هـ تولى القضاء في صنعاء وتوفي فيها عام ١٢٥٠هـ.

٩٦- قطر الولي للشوكاني ص: (٤٩٨، ٤٩٩).

٩٧- (لقاء الباب المفتوح)) (س ١٣٦٩).

٩٨- رواه البحاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه حديث (٤٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أن يرقد حديث (٨٧٥).

٩٩- القاضي أبو يعلي، محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد البغدادي الحنبلي ابن الفرَّاء، صاحب "التعليقة الكبري"، والتصانيف المفيدة في المذهب، وُلِدَ أوَّ سنة ٣٨٠هـ، من مؤلفاته: أحكام القرآن، مسائل الإيمان، المعتمد ومختصره، المقتبس، توفي سنة ٣٥٨هـ.

١٠٠- إبطال التأويلات (٢/ ٣٧٠).

١٠١- هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أخذ عم علماء نجد في زمنه حتى برز، تولى رئاسة الإفتاء بالسعودية، والإشراف على القضاء وتعليم البنات مع رئاسة المعاهد العلمية والجامعة الإسلامية وغيرها من أعمال الدعوة، توفي سنة (١٣٨٩هـ).

١٠٢- الفتاوى والرسائل، لابن إبراهيم (١٤٥/١).

١٠٣- التمهيد، لابن عبد البر (١٥٢/٧).

١٠٤- مجموع دروس وفتاوى ابن العثيمين (١٥٢/١).

١٠٥- عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، المعروف بإبن الأثير، مؤرخ كبير، له عدة مصنفات منها: "الكامل في التاريخ"، أسد الغابة في معرفة الصحابة"، توفي ٦٣٧هـ.

١٠٦- النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير (٧٩٠/٤).

١٠٧- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، إمام مشارك في سائر العلوم له العديد من المصفات في التفسير واللغة والحديث ومنها:"تأويل مختلف الحديث"، "مشكل القرآن"، توفي سنة ٢٧٦هـ.

١٠٨- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة ص (٣٢٤، ٣٢٥).

١٠٩- هو حمد وقيل أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي الشافعي، محدث فقيه، لغوي، من مصنفاته:"معالم السنن" و"شأن الدعاء" وغيرها، توفي سنة ٣٨٨هـ.

١١٠- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي (٤٧/١).

١١١- أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي أبو جعفر، إمام حافظ، له عدة مصنفات، منها: "معاني الأثير"، "شرح مشكل الأثر" وغيرها، توفي سنة ٣٢٢هـ.

١١٢- مشكل الآثار للطحاوي (١٠٤/٢).

١١٣- أبو عبد الله محمد بن علي المازري المالكي، مصنف كتاب "المعْلِم بفوائد شرح مسلم" ومصنّف كتاب "إيضاح المحصول" في الأصول، وله تآليف في الأدب، توفي سنة ٥٣٦هـ.

١١٤- المعلم، للمازري (٣٠٥/١).

١١٥- الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي، محدث، مفسر، له عدة مصنفات، منها: "معالم التنزيل"، "شرح السنة"، وتوفي سنة ٥١٦هـ.

١١٦- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، إمام في العلم والعبادة، له عدة مصنفات، منها: "شرح علل الترمذي"، وشرح صحيح البخاري، سماه "فتح الباري"، توفي قبل إكماله، توفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ.

١١٧- محيي الدين يحيي بن شوف النووي الدمشقي الشافعي، أبو زكريا، إمام في العلم والزهد، له مصنفات كثيرة، منها: "رياض الصالحين"، "المجموع شرح المهذب"، توفي سنة ٦٧٦هـ.

١١٨- أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المشهور بابن حجر، العلم المحدث الحافظ، له عدة مصنفات، منها: "الإصابة في تمييز الصحابة"، "بلوغ المرام من أدلة الإحكام"، "الدرر الكامنة"، "تهذيب التهذيب"، توفي سنة ٨٥٢هـ.

١١٩- انظر: شرح مسلم للنووي (٣١٧/٦)، المفهم للقرطبي، (٤١٣/٢)، المعلم للمارزي (٣٠٥/١)، إكمال المعلم للقاضي عياض (١٤٧/٣).

١٢٠- سورة الشورى الآية (٤٠).

١٢١- سورة البقرة الآية (١٩٤).

١٢٢- التمهيد لابن عبد البر (١٩٥/١).

١٢٣- شرح السنة للبغوي (٤٩/٤).

١٢٤- سورة التوبة الآية (٦٧).

١٢٥- فتح الباري لابن رجب (١٦٥/١).

١٢٦- سورة الشورى الآية (٤٠).

١٢٧- فتح الباري لابن حجر (١٤٧/١).

١٢٨- صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفيد مفتي الديار السعودية سابقاً، تولى وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية منذ سنوات ولايزال، له عدة رسائل مطبوعة.

١٢٩- شرح الطحاوية، لصالح آل الشيخ، ص (١٥).

١٣٠- عبد الرحمن بن محمد البراك، درّس في جامعة الإمام حتى تقاعد، له دروس مستمرة في كافة العلوم خصوصاً علم العقيدة.

١٣١- إجابات على أسئلة في العقيدة على الشبكة العنكبوتية (الأنترنت).

١٣٢- سورة الطارق الآيتين (١٥، ١٦).

١٣٣- سورة الأنفال الآية (٣٠).

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، أبي يعلى محمد بن الحسين ابن الفراء، دار إيلاف الدولية، الكويت- الجهراء، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، حمد بن محمد الخطابي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤- إكمال المعلم بفوائد مسلم، الإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، دار الوفاء، المنصورة- مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٥- تأويل مختلف الحديث، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- التسعينية، أحمد بن تيمية، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٧- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٢هـ.

٨- تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٤هـ.

٩- تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله ابن أحمد النسفي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، مؤسسة القرطبة.

١١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.

١٢- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، دار الراية، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٣- ذم التأويل، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الدار السلفية- الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٤- الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدرامي، دار ابن الأثير، الكويت- الجهراء، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

١٥- الرسالة التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.

١٦- شرح العقيدة الطحاوية، على بن محمد بن أبي العز الحنفي، دار هجر للنشر، أبها، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ.

١٧- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، دار بن الجوزي، الدمام، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ.

١٨- شرح صحيح مسلم، محيي الدين يحيي بن شرف النووي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٥م.

٢٠- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

٢١- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي عبد القادر السقاف، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٢- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٢٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٣٢٥هـ.

٢٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ.

٢٥- قطر الولي على حديث الولي، محمد علي الشوكاني، تحقيق إبراهيم إبراهيم هلال دار الكتب الحديثة، مصر.

٢٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٧- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت.

٢٨- المجموع الثمين من فتاوى محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٩- مجموع فتاوي ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثرايا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٣٠- مجموع فتاوى، أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبعة ١٤١٦هـ.

٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، الطبعة الثانية، الدوحة، ١٤٢٨هـ.

٣٢- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن أيوب قيم الجوزية، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٣٣- مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤- المعجم الوسيط، د.إبراهيم أنيس- د.عبد الحليم منتصر- عطية الصوالحي- محمد خلف الله أحمد، المكتبة الإسلامية، استانبول.

٣٥- المعلم بفوائد مسلم، محمد بن علي المازري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

٣٦- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأثفهاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٣٧- المفهم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، دار بن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٨- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٩- النهاية في غريب الحديث والأثر، علي بن أبي الكرم محمد ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.